وظائفنا تجاه نبينا الأكرم ﷺ

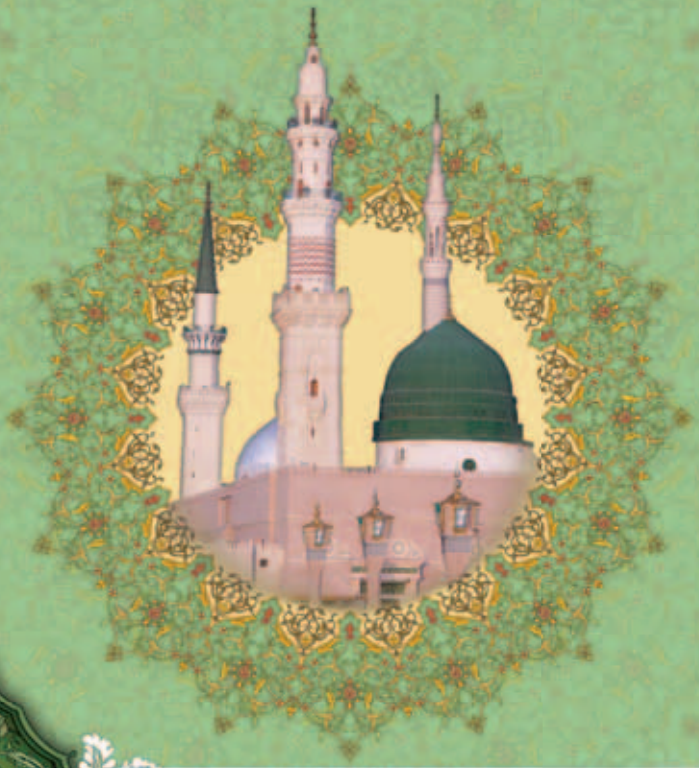

٢٤
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

وظائفنا
تجاه نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين لا سيما بقية الله في الأرضين عجل الله فرجه..

لا يخفى على أحد من المسلمين أن النبي ﷺ ولد في عام الفيل وتزوج بعد خمسة وعشرين عاماً بخديجة رضي الله عنها وبعد ذلك بخمسة عشرة عاماً، بُعث بالرسالة الإلهية وظل يدعو إلى سبيل ربه في مكة المكرمة ثلاث عشر سنة ولم يؤمن بدعوته إلا ثلة قليلة رغم كل المعجزات والآيات والقرآن والحكمة التي لا تخالف العقل وتنسجم مع الفطرة، لكن قريش أبت أن تترك أصنامها وشركها مما دعى الى هجرة بعض المسلمين بأمر النبي ﷺ إلى الحبشة واضطر الرسول ﷺ الى الانفتاح على القبائل الأخرى، فكانت دعوة عرب الطائف واللقاء بوفود العرب القادمة لحج بيت الله الحرام، وقد كان ذلك مقدمة للهجرة النبوية الشريفة إلى يثرب والتي سميت بعدها «المدينة المنورة» لتبدأ رحلة تأسيس الحكومة الإسلامية وبداية الصراع مع مشركي قريش أولاً، ومشركي الجزيرة العربية ثانياً، وكفار أهل الكتاب ثالثاً، حتى وصل الأمر بعد الانتصارات الكثيرة أن تكون الجزيرة العربية كلها دولة إسلامية قائدها رسول

الله ﷻ ودستورها القرآن وسكان الجزيرة مؤمنهم ومنافقهم هم الشعب، وكان لا بد لهذا الشعب والدستور من قائدٍ وحافظ يخلف النبي ﷺ بعد موته وهذا ما كان في آواخر عهد النبي ﷺ يوم الغدير حيث نصّبَ علياً عليه السلام خليفة له ﷺ وبهذا أُكمل الدين وتمت النعمة على العباد، وبعد هذا الإكمال والإتمام حان رحيل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وقد قدّم لذلك مقدمات كثيرة حتى لا تتفاجأ الأمة بهذا الرحيل وسداً للفراغ الهائل الذي يتسبب من هذا الرحيل،

وفي بحثنا هذا سنحاول أن نسلط الضوء على وظائف المسلم تجاه النبي الأكرم ﷺ في حياته وبعد مماته ﷺ ..

نسأل الله أن يوفقنا لأداء وظائفنا تجاه الرسول الاعظم ﷺ.

توطئة

تمّر في نهاية شهر صفر المكرم ذكرى رحيل علّة الوجود الرسول الأكرم ﷺ ولا نستطيع أن نصف ذلك أكثر من وصف نفس أمير المؤمنين رسول الله ﷺ فقد قال:

﴿ بأبي أنت وأمي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء، خصصت حتى صرت مسلياً عمن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء، ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشؤون، ولكان الداء مماطلاً، والكمد مُحالفاً وقلا لك، ولكنه ما لا يملك ردُهُ ولا يستطاع دفعه بأبي أنت وأمي اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك ﴾[1]، وفيه إشارة واضحة الى الفجيعة الكبرى والخسارة العظمى للبشرية بموت خاتم الأنبياء عليهم السلام فقد انقطع بهذا الموت مالم ينقطع بموت غيره من الوحي وأخبار السماء لأن الله سبحانه بيّن كل ما يريد على لسان خاتم رسله ﷺ وقد عالج القرآن الكريم هذه القضية من ناحيتين: ناحية موته عند الكافرين و ناحية موته عن المسلمين، وقد أمره مولاه سبحانه وتعالى بقوله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[2] وهو بمقتضى عصمته ينفذ أوامر ربه مقتصراً في صلاته وفي ذبحه (نسكه) بل وكل مناسكه

(١) نهج البلاغة ٢ ـ ٢٢٨.
(٢) سورة الانعام / آية ١٦٢ـ ١٦٣.

وتصرفاته مدة حياته لله وحتى موته فهو لله، اضافة الى ذلك فهو ((أول المسلمين)) ولم يطلق هذا الوصف على غيره من الانبياء فهذا نوح عليه السلام وهو شيخ الأنبياء عليهم السلام يقول لقومه ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1] والملاحظ أن الأولية التي تثبت للرسول الأكرم ﷺ ولم تثبت لنوح عليه السلام ليست أولية في هذه الحياة الدنيا بل بعوالم تسبق هذه فقد روي {أن بعض قريش قال لرسول الله ﷺ بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: اني كنت أول من آمن بربي وأول من أجاب حين أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، فكنت أنا أول نبي قال بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله}[2]، وبقي طوال حياته وفي كل حركاته وسكناته متوجهاً الى ربه سبحانه، مبتغياً رضوانه بل كان كذلك حتى عند مماته، وقد أدى ما عليه من تكاليف إلهية وإن كانت ثقيلة بتعبير القرآن الكريم، وقد شهد المسلمون له بذلك في حجة الوداع ((نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت، ثم قال بإصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكبها الى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد))[3] وقد شهد الله لرسوله ﷺ بذلك بل اتفق عليه ﷺ من كثرة اهتمامه واشفاق قلبه لعدم إيمان بعض الناس بقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[4] وقد حدد المولى لحبيبه وظيفته وهي محصورة بالإبلاغ، أما إيمان وهداية الناس فليس من وظيفته ﷺ بل الأمر متروك إلى العباد، فمن

(١) سورة يونس / آية ٧٢.
(٢) البرهان / ٢ ـ ٦٠٧.
(٣) سنن البيهقي/ ٢ ـ ٤٥١.
(٤) سورة الشعراء/ آية ٣.

شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر بعد إقامة الحجة ووضح البرهان والدلالة على الطريق المستقيم، بل حتى الإهلاك والانتقام من المعاندين أمر مفوض للمولى سبحانه وتعالى، فمهمة الرسول ﷺ التبليغ وإقامة الحجة، أما الناس فهم أحرار في قبول أو رفض هذا الهدي الإلهي لكنهم مسؤولون عن قبولهم ورفضهم أمام ربهم، والقرآن الكريم يحدثنا عن موقف كلا الطرفين من موت النبي ﷺ ، فطرف ينتظره بفارغ الصبر فهماً منه أن بموته تموت الرسالة، وفريق ثانٍ يمثله أمير المؤمنين عليه السلام ينفذ عليه ماء عروق الدمع ويكون المرض مزمناً والكمد ملازماً ويفتديه بأبيه وأمه ويرجو منه شفاعته حياً وميتاً، وهناك فريق ثالث مستمر علينا ملامحه بعد تفصيل معالم الفريقين الاولين.

شكر وانقلاب

قال تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[1] التي نزلت في واقعة أحد وهي تشير إلى انقسام المسلمين بعد موت الرسول ﷺ أو قتله الى قسمين :

الأول ـ المنقلبون على الأعقاب.

الثاني ـ الشاكرون.

وهي تهيئة أذهان الأمة لما سيكون بعد رحيل الرسول ﷺ.

وفي سورة مكية يقول الله سبحانه ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[2] وفي الآية تلويح أن جبهة أعداء النبي ﷺ بعد أن جربوا كل طرق تضعيف وتطويق الدعوة الإسلامية، كانوا يسلّون أنفسهم بأن النبي ﷺ سيموت ويتخلصون من دعوته وتنجو آلهتهم من طعنه، وتخلو الساحة للمشركين والشرك والأصنام، فيأتي الجواب في الآية بنفي جعل الخلد لبشر قبل النبي ﷺ فكل البشرية تسير إلى الفناء ولا يشذ عن

(١) . سورة آل عمران/ آية ١٤٤.
(٢) سورة الانبياء/ آية ٣٤.

هذه القاعدة شخص واحد حتى نتوقع ان يكون النبي ﷺ الخالد الثاني لذلك الأول فالكل ميت ولا ينتفع عدو بموت عدوه لأنه لاحق به قريباً أو بعد حين وخاصة إذا كانت حياة العدو الباقي قصيرة ومليئة بالامتحانات الإلهية وفي النهاية لا يخرجون عن سلطان المولى وقدرته ومرجعهم (في الآخرة) إليه سبحانه وهذه المسألة «انتظار موت الرسول لتموت الرسالة» ليست جديدة بل هي متكررة في تأريخ الأنبياء فقد قال قوم نوح عنه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾[1] ومقابل هذا التربص من الكافرين - أي الانتظار - هناك تربص إلهي والله غالب على أمره.

يروى انه كان ضمن مقترحات دار الندوة الذي عقده زعماء قريش لمناقشة كيفية الخلاص من دعوة الرسول ﷺ قال قائل منهم: احبسوه في وثاق وتربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم، فأنزل الله في ذلك من قولهم ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ۞ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾[2] وإذا كان الأمر بالتربص . هو الله سبحانه . وهو القوي وبيده أسباب السماوات والأرض وكل الخلق فلا يخرج من سلطانه شيء، فويل لمن يُهدّد من قبل الله سبحانه خاصة إذ عرفنا نسبة الدين الى الله عز وجل فهو شرعه، وهو باعث النبي ﷺ حافظ الشرع الكفيل بانتصاره على الدين كله ولو كره الكافرون رغم تحيّنهم الفرص بالرسول الأكرم ﷺ

(١) سورة المؤمنون/ آية ٢٥.
(٢) سورة الطور/ آية ٣٠ ـ ٣١.

فقد {أخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن جعفر بن محمد بن أبيه قال لما توفي القاسم بن رسول الله ﷺ بمكة، مرّ رسول الله ﷺ وهو آت من جنازته على العاصي بن وائل وابنه عمرو، فقال حين رأى رسول الله ﷺ إني لأشنؤه فقال العاصي بن وائل لا جرم لقد أصبح أبتراً فأنزل الله «إن شانئك هو الأبتر» }[1] وقد جرت عادة العرب إن تسمي الرجل الذي لا عقب له بالإبتر وهذا ما يكشف معنى الكوثر الذي امتنّ الله سبحانه بإعطائه لنبيه ﷺ فلا معنى للقول إن أعدائك يا محمد يقولون عنك أبتر ونحن أعطيناك نهراً في الجنة كما هو الوارد في تفسير الكوثر في الروايات وحتى الآراء الأخرى لتفسير الكوثر. وهو الخير الكثير. من القرآن الكريم والأتباع الكثيرون أو علماء الأمة أو غيرها، وقد أوصلها بعضهم الى العشرين أو أزيد، لكنها لا تتلائم مع آخر السورة المباركة التي تتحدث عن تعبير اعداء النبي ﷺ بقولهم له (أبتر) ويمكن ان نجمع بين هذين الاتجاهين بأن نقول بإن الكوثر. وهو الخير الكثير. له مصاديق كثيرة ومتعددة، وأهمها الذرية الكثيرة، وقد ذكرها الفخر الرازي كقول ثالث (الكوثر أولاده قالوا لأن هذه السورة إنما أنزلت رداً على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد فالمعنى انه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم ولم يبق من بني أمية في الدنيا احد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الاكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم)[2] وإذا

(١) الدر المنثور ٦/ ٤٠٤.
(٢) مفاتيح الغيب ٣٢/ ٣١٤.

علمنا ان هذه الذرية المباركة وهم حملة الدين الإلهي بعد جدهم وابيهم من فاطمة عليها السلام فهي قد مثلت امتداد النبوة في ذريتها فإذا مات النبي ﷺ فهناك قيّم على الرسالة وليس قيّماً واحداً بل مجموعة كثيرة إذا مات أحدهم يخلفه الآخر ليكون امتداداً للنبوة، ومما يجدر الاشارة إليه أن بداية هذا الامتداد لم يبدأ بالذرية بل بدأ بأبي الذرية وهو أمير المؤمنين عليه السلام فعندما نُصّب ولي للمسلمين بأمر الله سبحانه يوم الغدير بدأ الامتداد ولذلك وصف ذلك اليوم بأنه يوم يأس للذين كفروا لأن الرسالة سوف لم تنقطع بموت الرسول ﷺ كما كانوا يظنون، فبعد أن استنفد الكفار كل خططهم لعرقلة المسيرة الإلهية التي بدأها رسول الله ﷺ وجربوا أنواع المكر والمؤامرات وثبت. بفضل الله. فشلها رجعوا الى آخر سهم بقي في كنانتهم هو تربص موت الرسول ﷺ وبموته تموت الرسالة، فرسالة بلا قيّم. وهم لا يحسبونها رسالة. لا تستمر وفي يوم الغدير انتقل قيّم الرسالة من شخص واحد يجري عليه ما يجري على البشر من الموت والفناء الى مجموعة كبيرة إذا مات الأول استخلفه الثاني وإذا مات الثاني استخلفه الثالث وهكذا الى الثاني عشر، وبذلك يكون اليأس قد استولى على اعداء الاسلام الخارجين وهم الكفار ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾[1] وواضح أن هذا المقطع القرآني فيه بشارة ونذارة، البشارة أن أعداء الإسلام الخارجيين (الكفار) قد وصلوا الى مرحلة اليأس لان رجاءهم قد انقطع بموت النبي ﷺ فقد عولجت هذه المسألة على مستويين، الأول هو

(١) سورة المائدة/ آية ٣.

المستوى القريب، فها هو ينصب علياً أميراً للمؤمنين وخليفة له صلى الله عليه وآله والثاني المستوى البعيد المتمثل بالعطاء الإلهي «الكوثر» هو الذي يشكل امتداداً بعد موت علي عليه السلام وهم الأئمة، ولوجود هذا الامتداد فقد وصلوا الى اليأس، وإذا وصلوا الى هذه المرحلة فلا يخاف جانبهم ان يتحركوا حركة فيها خطر على الدين وهذه هي البشارة، لكن هناك انذار أن على المجتمع الإسلامي أن يخشى الله في هذا الامتداد حتى لا يعيدوا للكافرين أملهم، لكنهم وللأسف لم يخشوا الله بذلك وأعادوا أمل الكفار في الدين.

من المعلوم لدى المسلمين بل كل البشر ان من الأمور المحتمة (الموت) لا يشذ احد من المخلوقات عنه ابداً فالموت يشمل الكل لا يستثنى منه شقيّ ولا نبي ولا رئيس ولا مرؤوس ولا ولا .... وفي القرآن الكريم إشارة الى ذلك وقد سبق مثال على ذلك ومثال اخر ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1] وفي هذا المثال يرتب المولى على هذه الحقيقة بعد ان ينبهنا ان الإعطاء الكامل يتم يوم القيامة مما يدل على ان هناك اعطاء لكنه غير تام. في البرزخ. ويتم الله ذلك في القيامة وإذا كان لا بد من القيامة بعد الموت فالفوز الحقيقي. وغيره مهما كان ليس بفوز. الزحزحة عن النار والدخول في الجنة فليستعد الإنسان ليتلقى هذا الفوز وهذا المعنى تكرر ذكره في القرآن ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ

(١) سورة آل عمران/ آية ١٨٥.

غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[1] ويترتب على ذلك عند كل عاقل وهو لا يعرف متى يأتيه الموت أن يستعد لهذا السفر المفاجئ وهو سفر طويل لا رجعة فيه إذ لا مفر له عنه ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2] وقبل هذه الآيَةَ قال تعالى ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ وهذا ميزان لمعرفة ولي الله وهو تمني الموت لأنه بوابة للقاء الله سبحانه والولي يفرح بلقاء وليه فقد روي (ان جبرائيل عليه السلام قال للنبي ﷺ إن ملك الموت يستأذن عليك وما استأذن أحداً قبلك ولا بعدك، فأذن له وسلم عليه وقال: يا أحمد إن الله بعثني اليك لأطيعك أأقبض أو أرجع؟ فأمره فقبض)[3] وهذه ميزة امتاز بها خاتم الانبياء والمرسلين على الخلق اجمعين ولا عجب ان يستأذنه ملك الموت وهو حبيب الله وعندما مضى الملك لإطاعة أمر الرسول ﷺ (قال له أتفعل ذلك يا ملك الموت؟ قال نعم بذلك أُمرت أن أطيعك فيما تأمرني فقال له جبرائيل يا أحمد إن الله تبارك وتعالى قد اشتاق الى لقائك فقال رسول الله ﷺ: يا ملك الموت امضي بما أُمرت به)[4] وقد هيأ ﷺ أذهان الأمة لموته ﷺ ففي حجة الوداع التي حدثت قبل اكثر من شهرين من رحيله قال ﷺ لأكبر تجمع للمسلمين في حياته (إني يوشك أن أدعى فأجيب وإني مسؤول وانكم مسؤولون

(١) سورة العنكبوت/ آية ٥٧ ـ ٥٨.
(٢) سورة الجمعة / آية ٨.
(٣) بحار الانوار ٢٢/ ٣٢٢.
(٤) امالي الصدوق ٦.

فماذا انتم قائلون؟ قالوا نشهد انك قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيراً)[1] فالعجيب ان يقوم احد الصحابة فيقول للجموع الثاكلة بموت رسول الله ﷺ (ان رسول الله لم يمت ولكن ربه أرسل اليه كما أرسل الى موسى فمكث عن قومه أربعين ليلة، والله اني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي رجال من المنافقين وألسنتهم يزعمون، أو قال: يقولون إن رسول الله قد مات)[2] بل في روايات اخرى يهدد بضرب السيف لمن يقول بموت النبي ﷺ والأعجب من ذلك انه لا يقتنع بقول أحد الصحابة إلا أنه اقتنع بخطبة صاحبه (ايها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم نلاحظ الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[3] قال فكأن الناس لم يسمعوها قبل ذلك فما من الناس أحد إلا يتلوها)[4] والأعجب منهما من يقول عنهما إن إنكار من أنكر الموت من شدة هذا الحدث العظيم لا يكاد يصدقه وتثبيت من ثبّت الموت كان لشجاعته ورباطة جأشه، فكأن هو رجل الموقف رغم انه ذكر عبادة محمد التي لا وجود لها بين المسلمين الثاكلين برحيل رسولهم ﷺ، والآية التي ذكرها قد نزلت عقيب هزيمة المسلمين في وافعة احد سنة ٣هـ وكان احد مشاهدها ان صيح في جميع المسلمين ((قُتل محمد)) وكان سبباً لحالة اسماها القرآن (انقلاب) والآيات السابقة وغيرها تبين بوضوح ان

(١) المعجم الكبير ٣/ ١٨٠.
(٢) مسند احمد ٣/ ١٩٦.
(٣) آل عمران/ آية ١٤٣.
(٤) السيرة النبوية ٣/ ٦١.

مسألة رحيل النبي ﷺ مسألة طبيعية وقد اشارت الزهراء عليها السلام لهذا الوضوح فقالت أمام الملأ (أتقولون مات رسول الله صلى الله عليه [وآله] فخطبٌ جليل استوسع وهيه، واستنهر فتقه، وبعد وقته، وأظلمت الارض لغيبته، واكتابت خيرة الله لمصيبته، وخشعت الجبال، وأكدت الآمال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته صلى الله عليه [وآله]؟ وتلك نازلة علن بها كتاب الله في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم، يهتف بها في أسماعكم، ولقلبه ما حلت بأنبياء الله عزوجل ورسله [وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)[1].

والملاحظ على هذا النص الفاطمي أنه مشابه للنص العلوي الذي ذكرناه في بداية البحث، والملاحظ على النصين «العلوي والفاطمي» مخالفتهما لمن اعتبر رجل الموقف صاحب الشجاعة والثبات والملفت للنظر في الآية الكريمة ان فيها تقريع وتوبيخ للمسلمين لانهم تركوا الاسلام بمجرد سماعهم اشاعة قتل النبي ﷺ وكأن ايمانهم واسلامهم مرتبط بوجود وحياة النبي ﷺ فإذا انتهت تلك الحياة وغاب ذلك الوجود انفك الارتباط فلا إيمان ولا إسلام بل ((لما فشا في الناس ان رسول الله ﷺ قد قتل قال بعض المسلمين: ليت لنا رسولاً الى عبد الله بن أُبي فيأخذ لنا أماناً من ابي سفيان، وبعضهم جلسوا وألقوا بإيديهم، وقال أُناس من أهل النفاق إن كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الأول فقال

(١) . بحار الأنوار ٢٩/ ٢٤٤.

أنس بن النضر عم انس بن مالك: إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ، فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه، ثم قال: اللهم اني أعتذر اليك مما قال هؤلاء (يعني المسلمين) وأبرأ اليك عما قال هؤلاء (يعني المنافقين) ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل رضي الله تعالى عنه))[1] وهذا النص يبرز اربعة اصناف صنف مسلم «لم ينافق ولكنه ضَعُف» فطلبوا رسولاً الى رأس النفاق ليتوسط عند ابي سفيان قائد قريش المشركة لعلهم يحظون بأمان منه، وصنف ثانٍ جالسين، وصنف المنافقين كانوا يتشاورون بالرجوع الى دينهم الأول، وصنف رابع ثَبُت فمات وقاتل على ما مات وقاتل عليه رسول الله ﷺ، ولعل في الآية اشارة الى ان هذا التصنيف غير مختص في واقعة أحد لأن الآية قالت « أفإن مات أو قتل» والموت حقيقة والقتل حقيقة ثانية وما اشيع في يوم أحد هو قتل الرسول ﷺ وهذا ما تصرح به الأحاديث الكثيرة، ومن ذلك ان الرسول الاكرم ﷺ يصعد المنبر ويقول ((وما بال رجال يقولون إن رحمي لا ينفع بلى والله ان رحمي موصولة في الدنيا والأخرة، وإني أيها الناس فرطكم على الحوض فإذا جئت قام رجال فقال هذا أنا فلان بن فلان وقال هذا يا رسول الله أنا فلان فأقول قد عرفتكم ولكنكم أحدثتم بعدي ورجعتم القهقري))[2] والقاريء الكريم يلاحظ أن هذين الـ(فلانين المشار اليهما في الحديث) يعرفهم الرسول الاكرم ﷺ ولهما موقف سلبي مع أقارب النبي ﷺ وقد أحدثا بعده ﷺ

(١) روح المعاني ٣/ ٢٤١.
(٢) المستدرك ٤/ ٧٦.

فقد رجعا القهقري، وإذا كان التعبير هنا بـ(رجال) الذي يشير الى قلتهم ففي أحاديث اخرى هناك تعبير أقوام مما يدل على كثرتهم.

فقد روى أبو حازم سمعت سهلاً عن الرسول الاكرم ﷺ قوله: (أنا فرطكم على الحوض من ورد عليّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً بعده أبصرت ان لا يرد علي اقوام اعرفهم ويعرفونني ثم يُحال بيني وبينهم، قال: فسمعني النعمان بن ابي عياش أحدّث به فقال: وأشهدُ ان أبى سعيد الخدري يزيد فيه فيقول: واقول لهم انهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك أو ما بدلوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي)[1] فهم اقوام يعرفون الرسول ﷺ وهو يعرفهم لكن يحال بينهم وبين الشرب من الحوض لأنهم احدثوا بعده (وهذا ينطبق على موته ﷺ) واستحقاقهم على هذا الإحداث أو التبديل هو (سحقاً سحقاً) وقد قالها رسول الله ﷺ ونحن نردد ذلك اتّباعاً له ﷺ (سحقاً سحقاً لمن بدل بعد الرسول الاكرم ﷺ) وقد عبرت الآية عن حالة انقلاب هؤلاء بأنهم «لن يضروا الله شيئاً فهو بانقلابهم سيحال بينهم وبين الشرب من حوض الرسول ﷺ يوم القيامة، وبالمقابل سمي الآخرون بالشاكرين «سيجزي الله الشاكرين» فالمطلوب هو الثبات على الرسالة حتى بعد رحيل الرسول ﷺ بقتل او موت رزقنا الله ذلك وجعلنا من الشاكرين.

(١) مسند احمد ٥/ ٢٣٩.

الطاعة له والتولي عنه

مر بنا في الفصل السابق أن الإحداث والتبديل ومعناهما الابتداع في دين الله ما لا يرضاه الشارع المقدس وخلاف ما بلّغ به رسول الله ﷺ، وقد كان سبباً لحرمان أفواههم من الشرب من حوض النبي ﷺ يقابل هذا الابتداع الاتباع والطاعة المطلقة له ﷺ، وقد وجه القرآن الكريم الى ذلك في عديد من آياته ومن ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[1] فبعد النداء الإلهي للمؤمنين لا بد أن يكون هناك أمر ونهي وقد اجتمع الاثنين بعد هذا النداء (والمعنى يا أيها الذين آمنوا حق الإيمان أن أطيعوا الله ورسوله في كل احوالكم «ولا تولوا عنه» أي لا تعرضوا عنه فإن في إعراضكم عنه خسارة عظيمة لكم في دنياكم وآخرتكم، قال الآلوسي: «وأعيد الضمير اليه ﷺ لأن المقصود طاعته وذكر طاعة الله تعالى توطئة لطاعته وهي مستلزمة لطاعة الله تعالى لانه مبلّغٌ عنه فكان الراجع أليه ﷺ كالراجع الى الله تعالى» وقوله «وأنتم تسمعون» جملة حالية مسوقة لتأكيد وجوب الانتهاء عن التولي عنه مطلقاً لا لتقييد النهي عنه مجال السماع)[2] بكلام آخر أوضح لا تعرضوا عن الرسول ﷺ وأنتم تسمعون القرآن يؤكد مرة بعد مرة على طاعته بل يربط في كثير من آياته بين طاعته ﷺ وطاعة المولى سبحانه، وفي آية وحيدة يجمع الله معهما طاعة أولي الأمر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ

(١) سورة الانفال/ آية ٢٠.
(٢) الوسيط ٦/ ٧١.

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1] مما يدل على أهمية أولي الأمر، فيجب معرفتهم اولاً وإطاعتهم إطاعة مطلقة كإطاعة الله والرسول ﷺ ولعل الذين بدلوا بعد الرسول ﷺ قد أبدلوا طاعة مَن أمر الله بإطاعته بآخرين لم يأمر الله بإطاعتهم بل كان حالهم حال الاخرين من المسلمين مأمورين بإطاعة أولي الامر.

والحال لا يمكن التفكيك بين الإطاعتين: طاعة الرسول ﷺ وطاعة مَن أمر الله بطاعته فمن أطاعهم فقد أطاعه ومن عصاه فقد عصاه، وهذا الارتباط موجود ايضاً بين طاعة الرسول ﷺ وطاعة المولى سبحانه ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[2] بالإضافة الى جانب الامر بالطاعة ذكر التولي عنه وهو الإعراض، وذكر ان وظيفة النبي ﷺ هو التبليغ والإنذار وليس حافظاً ورقيباً لأعمال العباد، فقد روي أن النبي ﷺ كان يقول: (من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون ألا تسمعون ما يقول هذا الرجل؟ لقد قارف الشرك وهو نهى ان يعبد غير الله ما يريد إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام فنزلت)[3]

وهذه صفة من صفات المنافقين والتي اشار اليها القرآن الكريم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ

(١) سورة النساء/ آية ٥٩.
(٢) سورة ا لنساء / آية ٨٠.
(٣) الكشاف ١/ ٤٣٦.

يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾[1]

والملاحظ ان الصد. وهو الإعراض. اختص بالرسول ﷺ ولم يختص بما انزل الله بدليل كلمة «عنك» الموجودة في الآية الكريمة رغم ان الدعوى كانت لحكم الله اولاً ولحكم الرسول ﷺ ثانياً والمنافقون ليسوا متجاهرين بالكفر بل يدعون الإيمان به لكنهم يحاولون التفريق بين حكم الله بالإيمان به ظاهراً وبين حكم الرسول ﷺ بالإعراض عنه وهذا هو النفاق بعينه.

وفي المقابل الصفة البارزة للمؤمن الصادق هو التسليم المطلق للرسول ﷺ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2] وهذه الآية نزلت في المنافقين والتي تشير الى انهم لا يكونوا مؤمنين حقاً حتى يتبعون هذه الخطوات:

١. يتركوا التحاكم عند الطاغوت ويتحاكمون عنده ﷺ.

٢. لا يتحرجون من حكمه أي لا يتضايقون سواء كان الحكم لهم أم عليهم لأن حكم الرسول هو حكم الله.

٣. التسليم المطلق لحكم الرسول ﷺ.

---

(١) سورة النساء / آية ٦١.
(٢) سورة النساء / آية ٦٥.

وهـذه الآيـة وان نزلت في المنافقين فهي تشـمل غيرهم من الناس وفي شتى الاحوال وليس في حالة التحاكم عنده فقط.

يقـول الله سـبحانه وتعـالى عن ما يصـدر من الرسـول ﷺ ﴿وَمَا يَنْطِـقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1] فكل ما يصدر عنه ﷺ وبلا استثناء هو وحي بخلاف ما موجود عند البعض ان كلام رسـول الله ﷺ ينقسـم إلى أقسام، قسمٌ هو وحيٌ يوحى وآخر ليس كذلك إذ يستدلون عنها بروايات مختلفة ومنها هذه الرواية:

(مـر رسـول الله ﷺ علـى قوم علـى رؤوس النخل فقـال ما يصنع هؤلاء؟ قالوا: يلقحونه يجعلون الذكر بالأنثى، قال: ما أظن ذلك يغـني شـيئاً، فأخبروه بذلـك فتركوه، فاخبر رسـول الله ﷺ فقال إن كان ينفعهـم فليصنعوه فإني ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ولكـن إذا اخبرتكـم عن الله عز وجـل فخذوه فإني لـن اكذب على الله شـيئاً)[2] والمعلوم ان العرب جميعاً والرسول ﷺ منهم يعرفون ان النخـل لا ينتـج الا بالتلقيـح فكيـف خفي ذلك على الرسـول ﷺ وهو ابن تلك البيئة، ولو سـلمنا جدلاً انه لا يعرف ذلك فمن المعقـول جـداً والمتوقع منـه ﷺ أن لا يتدخل بشـيء لا يعرفه مع العلـم بأن الامـر بالتأبير أو عدم التأبير واقعـة لا تخلو من حكم شـرعي من الاحكام الشـرعية الخمسـة وبمقتضى عصمته ﷺ لا بد ان يكون لا يرتكب حراماً لا يؤدي الا نقص الثمار مما فيه أذىً للمسلمين، ولعلنا نجد جواباً عن المراد لمثل هذه الاحاديث عندما

(١) سورة النجم/ آية ٣ ـ ٤.
(٢) مسند احمد/ ٣/ ٣٠٣.

نقرأ اعتذار احد المشايخ عن فتوى احد الصحابة بكراهة الغسل بالماء المسخن بالشمس لأنه يورث البرص (وليس بشيء لأن الناس ما زالوا يستعملونه ولم يعلم أن أحداً برصَ ولأن ذلك لو صحَ لم يفرق بين من قصد تشميسه وما لم يقصد، والأثر إن صح فلعل «هذا الصحابي» بلغه ذلك فنهى عنه كما نهى النبي ﷺ عن تأبير النخل وقال ما اراه يغني شيئاً ثم قال أنتم أعلم بأمر دنياكم)[1]

ومعنى ذلك ان يعتذر لهذا الصحابي ومن على شاكلته أنه ظن ظناً ليس في محله ولا غضاضة عليه في ذلك لأن الرسول ﷺ ظن قبله مثل هذا الظن.

ومحاولة تقسيم اقوال النبي ﷺ ليست جديدة وإنما نلمح ذلك في عهده فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال(كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد احفظه فنهتني قريش قالوا انك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلّا حق)[2].

وأنت تعلم ان الناهي عن الكتابة هي قريش! ولا يعقل ان تكون هي قريش المشركة الباقية على دين آبائها فلا بد ان تكون هي قريش المسلمة خاصة إذا علمنا ان مرافقة عبد الله وابيه للرسول ﷺ كانت في المدينة المنورة وهي خالية من قريش المشركة أو ليس لهم كلمة

(١) شرح العمدة ٨٢/١.
(٢) مسند احمد ١٣/ ٢٥٩.

تُسمع حتى ينهون بشيء أو يأمرون بأخر والملاحظة الثانية أن هذا النهي كان معللاً ببشرية النبي ﷺ ولا يخلو بشر من غضب يخرجه من الحق ويدخله في باطل أو من رضا يتجاوز فيه اخطاء من يرضى عليه ويعطيه اكثر مما يستحق فلا وزن لتلك الكلمات التي تصدر في حال الرضا والغضب وكان رد الرسول ﷺ أن فمه الشريف لا يخرج منه الا حقاً فلا الرضا ولا الغضب يخرجانه من حق ولا يدخلانه في باطل وفعل الامر الصادر من الرسول ﷺ «اكتب» فيه دليل على جواز بل استحباب تدوين السُنّة، خلاف ما قاله الكثير بل منعوا ذلك بحجة عدم اختلاطه بالقرآن وغير ذلك من الحجج التي لم تكن كافية في المنع عنه في زمنه ﷺ.

إن رضا النبي وغضبه كانت هي حجة قريش المسلمة في التفريق بين اقوال النبي ﷺ وهي نابعة من بشريته وقد رووا أن هذه البشرية وهذا الرضا والغضب ينبع عنه أموراً اخرى، فقد رووا دعاء النبي ﷺ (اللهم إنما أنا بشر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجلعها له زكاة ورحمة)[1] وهذا الدعاء يعني أن بشرية الرسول ﷺ ينبع منها سب ولعن وجلد وهو يطلب من المولى سبحانه ان يبدل هذا السب واللعن وا لجلد الى زكاة يوم القيامة مما يتبين ان هذه الاشياء قد صدرت منه ﷺ بلا حق فلو كانت حقاً فلا داعي لاستبدالها بالدعاء الى زكاة وبهذا يكون الرسول ﷺ سباباً لعاناً جلاداً ونحن نجل وننزه رسول الله ﷺ من أن يكون كذلك فإذا دار الأمر بين نفي كل ذلك رغم انه موجود في الكتب

(١) صحيح مسلم ٨/ ٢٦.

وبكثرة ويشهد المشايخ على صحته وبين ان يبقى رسول الله ﷺ كما وصفه ربه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] فإننا سوف نختار الثاني وإن كلفنا ذلك أن نضعف ما صححه الآخرون ونستطيع القول بأن امثال هذه الأحاديث جاءت لتخفف من احاديث صحيحة تلعن من يستحق اللعن بل تقلب ذلك اللعن الى زكاة وقد اعتذر من شرح هذا الحديث بعد ان صححه بوجهين (احدهما ان المراد ليس بأهل لذلك عند الله تعالى وفي باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجب له فيظهر له ﷺ استحقاقه لذلك بإمارة شرعية ويكون في باطن الامر ليس أهلاً لذلك وهو ﷺ مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والثاني إنما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس مقصود بل هو مما جرت به عادة العرب)[2]

ولا نعرف كيف عرف هذا الشارح أن باطن الامر هو عدم استحقاق اللعن مع خفاء ذلك على الرسول الاكرم ﷺ وهو لم يحكم إلّا بإمارة شرعية وهو مسدد بالوحي الالهي أما مساواة كلام الرسول ﷺ بكلام العرب وورود الدعاء بلا قصد فهو مساواة بين الثرى والثريا، ولعل الاعتراف بصحة امثال هذه الاحاديث ومحاولة توجيهها بهذه التوجيهات يعزز قول القائل ان هذه الاحاديث وضعت قبال احاديث كثيرة تلعن من يستحق اللعن فهي محاولة لتخليص بعض الملعونين من اللعن وتحويله الى زكاة وقد حذر القرآن الكريم من الوقوع في البلية واستحقاق العذاب الاليم جراء مخالفة امر الرسول ﷺ.

(١) سورة القلم/ آية ٤.
(٢) شرح مسلم ١٦/ ١٥٣.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]

والخطاب هنا مع المسلمين فبعد ان وصفهم المولى سبحانه بأنهم إذا كانوا مع الرسول ﷺ في اجتماع على امر من الامور العامة أن لا ينصرفوا من عنده حتى يستأذنوه للذهاب وهذا الاستئذان علامة ايمانهم بالله ورسوله وبعدها يخّير الرسول ﷺ بالاذن للانصراف أو عدم الاذن ويأمر بالاستغفار له تطييباً لنفوسهم وبعدها يأتي النهي عن جعل دعاء الرسول للمسلمين كدعاء بعضهم بعضا فلا يكن دعاؤه باسمه أو دعوته للاجتماع مثل غيره ويهدد المتسللين من الاجتماع الذي دعا له رسول الله ﷺ الذين يخرجون خلسة متسترين ببعضهم وهذا صنف مقابل ذلك الصنف الذي لا ينصرف إلا بعد الاستئذان وتختتم الآيتين بذلك التحذير عن مخالفة امره بالسقوط بالبلاء واستحقاق العذاب وهذا يدل دلالة واضحة على وجوب طاعته فيما يأمر بوصفه أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

(١) سورة النور/ آية ٦٢ - ٦٣.

ومما مر يتبين أن للرسول ﷺ حيثيات كثيرة تجب طاعته بكل هذه الحيثيات:

أولاً: إنه مبلغ عن الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: إنه ولي أمر المسلمين.

ثالثاً: إنه قاضٍ يقضي بين المسلمين.

رابعاً: متابعته بتصرفاته الشخصية كآداب الأكل والشرب والقول والفعل.

ففي كل قول يقوله وفعل يفعله يستطيع الإنسان المسلم أن ينترع منها حكماً شرعياً لأن القول أو الفعل لا يخلوان عن كونهما إما واجبان او حرامان أو مكروهان أو مستحبان أو مباحان فليس شيء من قول رسول الله ﷺ أو فعله خارج عن الحكم الشرعي بل نجزم بحكم عصمته بأنه لا يقول ولا يفعل المكروه فضلاً عن الحرام، إذ أن سُنّتَهُ تنقسم الى ثلاث:

١. تأكيدية، وهي تأكيد لما ورد في القرآن الكريم مثل أمره بالصلاة الوارد في القرآن.

٢. تفصيلية، وهي تفصيل ما أُجملَ في القرآن كقوله تعالى: (أقيموا الصلاة) فيأتي النبي ﷺ ببيان تفاصيل واجبات ومستحبات

ومقدمات وموانع الصلاة وغير ذلك كثير.

٣. تأسيسية، وهي تأسيس شيء لم يرد في القرآن الكريم مثل حكم رجم الزاني بالمحصن.

وفي كل ذلك مما تقدم نحن مأمورون بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1]

وعليه فإن طاعته واجبة رزقنا الله وإياكم ذلك.

(١) سورة الحشر/ آية ٧.

الاتّباع والتقدّم

إن أعلى حالة قد ينالها العبد في علاقته مع الله هو أن يكون محباً لله سبحانه وهذه لا تحصل إلا للأوحدي من العباد وإلا فإن اكثر العباد هم طلاب جنة او هاربين من النار فهم يخافون الله ومع ذلك فإن الله سبحانه لا يبادل حب المحبين بحب إلهي إلا بشرط أن يكون هذا المحب تابعاً لخاتم الانبياء ﷺ بل يحتاج إلى هذا الاتباع حتى يبادله المولى حباً بحب ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] فالمحبة الالهية وغفران الذنوب لا يحصل عليها العبد الا باتباع الرسول ﷺ ومعنى الاتباع ان الإنسان المسلم في كل خطوة من الخطوات التي يتخذها قولاً او فعلاً هو تابع لسنة النبي ﷺ فلا يخالف ما ورد عنه وليس له الخيرة في امره. وإن كان خاصاً بعد أمر الله وأمر رسوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[2] وكان سبب نزول هذه الآية (أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش الاسدية فخطبها، قالت: لست بناكحته، قال: بلى فأنكحيه، قالت: يا رسول الله أؤمر في نفسي؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله ﷺ قالت قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً، قال: نعم، قالت: إذن

(١) سورة آل عمران/ آية ٣١.
(٢) سورة الاحزاب/ آية ٣٦.

لا أعصي رسول الله فقد أنكحته نفسي)[1].

الملاحظ هنا ان مسألة زواج أمرأة من رجل ما هي مسألة شخصية تابعة لرضا المرأة المطلوبة أو عدم رضاها لكن عندما يتدخل من هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم فلا بد أن يقدم امره حتى على اختيار الإنسان لنفسه فضلاً عن الامور الشرعية أو الاوامر الولائية واكثر من ذلك.

إن التقدم على الرسول ﷺ محرم ايضاً ومعناه تقديم الحكم على شيء مقابل حكم الله ورسوله ﷺ أو الاستباق الى قول أو فعل قبل ان يأخذوا القول فيهما من الله ورسوله قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2] وزمن نزول الآية الكريمة في اواخر عهد النبي ﷺ. سنة ٩ هـ. والمسمى بعام الوفود وهو العام الذي توافدت فيه القبائل العربية لتعلن اسلامها أمام الرسول الاكرم ﷺ ومن تلك الوفود وفد بني تميم، لكن الذي حدث عند قدومهم تبرع أو تقدم رجلان من اصحاب رسول الله ﷺ بلا سابق امر أو تخويل لهما من رسول الله ﷺ بتأمير رجل على الوفد ولم يسكت الآخر بل أمّر رجلا آخراً، فقال له صاحبه ما أردتَ إلا خلافي، فقال له الآخر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ

(١) الدر المنثور ٥/٢٠١.
(٢) سورة الحجرات / آية ١.

لَا تَشْعُرُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1] والملاحظ أن ابن أبي مليكة. وهو تابعي روى هذا الحديث. اعتبر الاثنين قربا من الهلاك لأنه قال «كاد الخيّران أن يهلكا» لكنه ركز على سبب الهلاك وهو رفع الصوت أمام الرسول ﷺ. لكنه أغفل أنهما تقدّما على رسول الله ﷺ بتأمير احدهما رجلاً وتأمير الآخر رجل ثان، وهذا - يقيناً - لون من ألوان التقدم المنهي عنه في الآية الاولى، أما ما ركز عليه من رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ فنعرف خطورته بأن القرآن اعتبره سبباً من أسباب حبط الأعمال من غير ان يشعر العامل بذلك، وقد نصت الآية على فعلين يحبطان العمل بحضرة النبي ﷺ :

اولاً: رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ فهو إما استخفاف به وهو الكفر أو إساءة أدب وهو خلاف التوقير.

ثانياً: الجهر له بالقول كجهر بعضنا للبعض فلا يخلو ذلك من سوء أدب ووقاحة.

وقد اعتذر ابن أبي مليكة عن احد الرجلين دون الآخر انه بعد الآية التي علّمت المسلمين كيفية التأدب بحضور النبي ﷺ فكان (إذا حدثه النبي ﷺ بحديث حدثه كأخي السرار لم يسمعه حتى

(١) سورة الحجرات/ آية ٢ - ٣، راجع هذا المضمون في صحيح البخاري في اربع مواضع منها جزء ٦ ص ٦٦٢.

يستفهمه)[1] بمعنى اذا حدثه يخفض صوته حتى انه ﷺ لا يكاد يسمعه ويضطر الى سؤاله عن ماذا قال؟ ولو صح هذا لعرفنا ان هؤلاء وبعد مرور سنوات طويلة على صحبة النبي ﷺ أنزل الله سبحانه بشأنهم قرآناً ليعلمهم أدب الحضور وقد التزموا به بعد هذه السنين الطويلة.

لكن المتتبع للاخبار يجد غير هذا ففي اواخر أيام النبي ﷺ وهو على فراش الموت يطلب منهم كتفاً ودواة ليكتب لهم كتاباً لا يضلوا بعده أبدا، انظر إلى المهمة السهلة التي امر بها رسول الله ﷺ «إحضار كتف ودواة» وانظر الى أهمية ذلك الكتاب أن الامة لن تضل بعد ان يكتب ذلك الكتاب والمسلمون يتبعون تعاليم النبي فيه، بل كان من المفروض على المسلمين ان يستجيبوا لهذه المهمة البسيطة لنيل تلك الاهمية وهي رشاد الأمة وصلاحها وعدم ضلالها خاصة بعد التأكيدات الكثيرة على طاعة الرسول ﷺ وعدم التولي عنه وعدم التقدم عليه ووو... مما مر معنا لكن ما حدث ان رجل ممن كان موجوداً قال رأياً ـ مقابل أمر رسول الله ﷺ ـ وكان من المفروض على المسلمين أن لا يعبؤوا برأي مسلم مقابل أمر الرسول ﷺ لكن هذا لم يحدث بل على العكس فقد انقسم الحاضرون الى قسمين قسم يؤيد كتابة الكتاب. مما يعني إطاعة الرسول ﷺ في أمره. وقسم ثانٍ يرى رأي ذلك الصحابي (فلما أكثروا اللغط والاختلاف، غمّ رسول الله ﷺ وقال قوموا عني، فكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول

(١) مسند احمد ٤/ ٧.

الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم)[1]، وقد فسر اللغط بـ«الصوت والصياح» أو «اختلاط الأصوات» ولا نجد لهم عذراً في ذلك خاصة بعد قول رسول الله ﷺ «قوموا عني»

وهذا يدل على انزعاجه من موقفهم ولعلنا نقبل اعتذار من اعتذر عن وفد بني تميم وغيرهم من الوفود باعتبارهم لم يتأدبوا بعد بآداب الإسلام فكانوا يقفون من وراء الحجرات المطلة على المسجد النبوي الشريف ويصيحون: يا محمد اخرج لنا، فكان الرسول ﷺ ينزعج منهم وقد سلاّه القرآن عن ذلك فنزل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]وانتهاء الآيتين بالاسمين الكريمين لله «غفور رحيم» يدل على أن الواقعة تقابل من قبل الله بالمغفرة والرحمة ومطلوب من الرسول ﷺ أن يقابلهم بذلك أيضاً، وعلى العموم، فقد جعل القرآن الكريم خفض الصوت عند النبي من علامات امتحان القلوب للتقوى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[3]، كما إن رفع الصوت المنهي عنه وغض الصوت هو من علامات التقوى، فهل أن هذه الاعتبارات تختص بزمان النبي ﷺ عندما يتكلم، بأن لا يكون جليسه أرفع صوتاً منه أو الهدف هو رعاية الأدب واحترام وتوقير النبي ﷺ فقط؟ بل هي ممتدة إلى ما بعد وفاته ﷺ، فقد أكدها سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام عندما

(١) مسند احمد ٦/ ٣٦٨.
(٢) سورة الحجرات/ آية ٤-٥.
(٣) سورة الحجرات/ آية ٣.

منع بنو أمية وغيرهم دفن الإمام الحسن عليه السلام عند قبر جده ﷺ وارتفعت الأصوات فاستدل بهذه الآية باعتبار (أن الله حرم من المؤمنين أمواتاً ما حرم منهم أحياءً)[1]، وعليه فإن رفع الصوت عند قبر النبي ﷺ يعتبر نوعاً من إساءة الأدب فلا يجوز ذلك، ويجب التأدب بحضرة النبي ﷺ حياً وميتاً، خاصة أن المثول بين يديه يفترض أن لا ينقطع حتى بعد موته لأن الله سبحانه وتعالى جعل هذا المثول خطوة للحصول على التوبة الإلهية للمذنبين ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[2] ففي هذه الآية (يرشد الله تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا الى الرسول ﷺ

فيستغفروا الله عنده ويسألوه ﷺ أن يستغفر لهم فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب اللهِ عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال عز وجل: «لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» وقد ذكر جماعة ومنهم الشيخ أبو نصر بن الصباغ في كتابه «الشامل» الحكاية المشهورة عن العُتبي حيث قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء إعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

---

(١) نور الثقلين ٥/ ٨٠.

(٢) سورة النساء/ آية ٦٤.

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه

فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفس الفداء لقبر أنت ساكنه

فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال يا عُتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له)[1]

وهذا الذي فعله الأعرابي برواية العُتبي هو أمرٌ متعارف عليه بين المسلمين بدءً من الجيل الذي أخذ دينه من رسول الله ﷺ فقد (أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فأخذ برقبته وقال: أتدري ما تصنع؟ قال: نعم، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الانصاري (رض) فقال: جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله)[2] والملاحظ أن من يمارس الزيارة بحيث يضع وجهه على القبر هو من خيرة أصحاب الرسول ﷺ ومضيفه في أول وصوله الى المدينة، بينما من يحاول منع الناس عن ذلك هو حاكم من حكام بني أمية وقد نظّر لرأي بني أمية من جاء بعد قرون طويلة فقال عن رواية العتبي (فهذه الحكاية ونحوها مما يذكر في قبر

(١) تفسير ابن الكثير ١/ ٦٣٥.
(٢) المستدرك ٤/ ٥١٦.

النبي وقبر غيره من الصالحين فيقع مثلهما لمن في إيمانه ضعف وهو جاهل بقدر الرسول وبما أمر به فإن لم يعف عن مثل هذه الحاجة والا اضطرب إيمانه وعظم نفاقه)[1] وقد أفتى هو واتباعه بأن زيارة قبر النبي ﷺ غير مستحبة والمشي لها ولو خطوة واحدة حرام والتوسل به شرك والدعاء عند قبره وسيلة للشرك والقبة النبوية الشريفة بدعة ووو.. وقد استدلوا على ذلك بآيات وروايات هي موجودة بين ايدي المسلمين ولم يفهموا منها ما فهم هؤلاء، وليتهم اعتبروا فهمهم اجتهاداً يُحترم، وبالمقابل هناك اجتهادات يجب ان تُحترم، ولكنهم اعتبروا ما هم عليه هو التوحيد وما عليه غيرهم هو الشرك وبذلك كفّروا المسلمين وبالتالي أباحوا دماءهم وأموالهم.

وعلى كل حال فإن حرمة المصطفى ميتاً هي نفس حرمته حياً وكل ما مر من واجبات وآداب ووظائف تجاه رسول الله ﷺ نحن مسؤولون عنها وإن لم نكن تشرفنا بالمثول بين يديه، وقد مر بنا بأن رفع الصوت بحضوره محبط للأعمال الصالحة فقد يتورط صاحب الاعمال الصالحة بذلك فيحذره الله سبحانه من ذلك، ولعل مسلماً يحاول أن يتصرف تصرفاً معينا فيكون سبباً لإيذائه ﷺ وهذا الذي توعّد الله سبحانه وتعالى عليه بقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾[2] وقد يكون صاحب ذلك التصرف غير ملتفت لأسباب الإيذاء من هذا التصرف.

(١) قاعدة في الحجة/ ١٩٢.
(٢) سورة الاحزاب / آية ٥٧.

روى أنس خادم النبي ﷺ: (لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون قال فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من قام من القوم، زاد عاصم وابن عبد الأعلى في حديثهما قال فقعد ثلاثة، وإن النبي ﷺ جاء ليدخل فإذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا قال فجئت واخبرت النبي ﷺ انهم قد انطلقوا قال فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه قال وأنزل الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾)[1]

وهذه الآية الكريمة التي ذكرت في نهاية هذا الأثر قد احتوت على الكثير من الآداب على المسلم أن يراعيها مع النبي ﷺ:

١. حرمة دخول بيوت النبي دخولاً كثيراً بلا سبب.

٢. الدخول في تلك البيوت يحتاج إلى إذن.

(١) صحيح مسلم / ٤ ـ ١٥١.

٣. إذا حصل الإذن وجاز الدخول وقت الطعام وجب الانصراف بعده.

٤. الاستئناس بالحديث الذي يؤدي الى طول الجلوس بعد تناول الطعام سبب من أسباب ايذاء النبي ﷺ.

٥. من أراد طلب حاجة من أزواج النبي ﷺ فالطلب لا بد أن يكون من وراء حجاب.

٦. حرمة الزواج بأزواج النبي ﷺ من بعده وفيه إشارة الى إيذاء النبي ﷺ في العزم على التزويج بزوجاته بعد وفاته ﷺ.

فقد (أخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس (رض) في قوله ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا﴾ قال نزلت في رجل همّ ان يتزوج بعض نساء النبي ﷺ بعده قال سفيان ذكروا انها عائشة (رض) واخرج ابن مردويه عن ابن عباس (رض) قال رجل لئن مات محمد ﷺ لأتزوجن عائشة فإنزل الله ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا﴾

(وأخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال بلغ النبي أن رجلاً يقول إن توفي رسول الله ﷺ تزوجت

فلانة من بعده فكان ذلك يؤذي النبي ﷺ)[1]والمؤمن الحقيقي هو الذي لا يقترب من إيذاء أخيه المؤمن لأن في ذلك نهي إلهي ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾[2] فضلاً عن إيذاء الرسول ﷺ وكما مر فإنه إيذاءً لله سبحانه ويستحق فاعله اللعن في الدنيا والاخرة وهو الطرد من رحمة الله سبحانه وتعالى والعذاب المهين في الآخرة وقد نهى القرآن الكريم المؤمنين أن يكونوا كبني إسرائيل الذين آذوا موسى عليه السلام ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾[3] واحتياج الكليم عليه السلام إلى التبرئة من قبل المولى سبحانه يدل على أن الإيذاء كان من نوع التهمة والافتراء الكبيرين اللذين لا يستطيع رفعهما إلاّ الله سبحانه وتعالى، ونهي المسلمين عن مثل ذلك فيه إشارة الى أن النبي ﷺ قد تعرض لمثل تلك الافتراءات كما جرى في قصة زواجه من زينب بنت جحش أو قصة الإفك وقد روى جميع المسلمين عن الرسول الاكرم ﷺ «ما أوذي نبي مثلما أوذيت»[4]

ولعل الإيذاءات التي صبّت على العترة من بعده ﷺ هي إيذاء له ﷺ بعدما قال في الزهراء عليها السلام (إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها)[5]، وهناك لون آخر من الإيذاء من الممكن أن يدخله الإنسان

(١) الدر المنثور ٥/ ٢٦٥.
(٢) سورة الاحزاب / آية ٥٨.
(٣) سورة الاحزاب / آية ٦٩.
(٤) بحار الانوار/ ٣٩ ـ ٥٦.
(٥) ارواء العليل ٨/ ٢٩٥.

المسلم على الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله من خلال ارتكابه الآثام، لأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يطّلع على أعمال العباد، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام (ما لكم تسوءون رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال له رجل كيف نسوءه؟ فقال أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك فلا تسوءوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسرّوه)[1]

نتائج

إن المطلوب من المسلم وظائف كثيرة تجاه المصطفى صلى الله عليه وآله وقد مر بنا إن منها:

١. شكر بلا انقلاب.

٢. طاعة بلا تولّي عنه.

٣. اتباع بلا تقدّم.

٤. حرمة رفع الصوت بمحضره.

٥. مراعاة آداب الضيافة.

٦. لا يكون دعاؤه مثل دعاء غيره.

---

(١) بحار الانوار ١٧/ ١٣١.

٧. مراعاة آداب الحضور معه وعدم الانسحاب إلا بإذنه.

وقد مر بنا إن المنقلب على عقبيه بعد وفاة الرسول ﷺ لا يضر الله شيئاً وبمعنى أخر أنه يضر نفسه ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[1]

وبالتالي لا يتوقف الدين على من أضر بنفسه، ومر بنا أن عصيان الرسول ﷺ يؤدي الى الفتنة والعذاب الأليم ورفع الصوت يحبط الأعمال الصالحة، وإلى جانب ذلك نص القرآن الكريم على الآثار الكثيرة والكبيرة للشكر والطاعة ومراعاة الأدب مع الرسول ﷺ فمنها قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]

فمن أراد هذا الفوز العظيم بالخلود في الجنات فالمفتاح بيده والباب هو. الله ورسوله. والمؤمن حقاً بل العاقل هو الذي يسعى لفتح الباب الذي يؤدي به الى الخلود في الجنان وبالمقابل هناك مفتاح آخر وهو بيد الإنسان ايضاً يفتح باب الخلود ولكنه خلود من نوع آخر ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[3]

ولا نظن عاقلاً يختار لنفسه هذا المصير البائس، فعليه والحال

(١) سورة الاسراء/ آية ٧.
(٢) سورة النساء/آية ١٣.
(٣) سورة النساء/ آية ١٤.

هذه ان لا يسلك الطريق الذي يؤدي الى ذلك ونفس هذا المعنى نجده كثيراً في مواضع كثيرة من القرآن ولعلنا نجده في جزء آية ﴿ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1] وقد نجد آيات في القرآن الكريم تعتبر إن جزاء الطائعين هو الفوز أو الفوز العظيم بدون ذكر للجنات التي تجري من تحتها الانهار كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[2]

وفي آية اخرى ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3] وذلك لانه لا فوز قبل يوم القيامة ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[4] والواقع أن الإنسان مهما يصل الى مراتب الدنيا ويمتلك من حطامها فإنه مهدد بأحد أمرين: إما يرحل الحطام ويبقى هو أو يرحل هو ويترك الحطام، أما أن يبقى هو ويبقى الحطام فهذا خلاف سنة الله في الكون والنتيجة من ذلك ان امتداد اي شيء في الدنيا مهما كبر وعظم في اعين أهل الدنيا في حقيقته امر مضمحل ومنتهٍ ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو من يعرف قدر الدنيا والاخرة (ما خير بخير بعده النار، وما شرّ بشرّ بعده الجنة وكل نعيم دون الجنة فهو محقور وكل بلاء دون النار عافية)[5] هذا العطاء الإلهي، وقد أسماه الله سبحانه

(١) سورة الفتح / آية ١٧.
(٢) سورة النور / آية ٥٢.
(٣) سورة الاحزاب/ آية ٧١.
(٤) سورة آل عمران/ آية ١٨٥.
(٥) نهج البلاغة/ ٣٨٧.

بالفوز مرة والفوز العظيم بأخرى، وبيّنه بأنه الخلود في الجنة ويزيد على هذا النعيم «جنات تجري من تحتها الأنهار» كما إنّ هناك رفقاء يلحق بهم الإنسان المطيع لله ولرسوله ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[1]

وهذه المعية ـ التي أُطلقت ـ في الآية لا تقتصر على الآخرة بل تشمل الحياة الدنيا وعالم البرزخ، ويا لها من رفقة مباركة إذ يرافق المطيع (النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) وقد أسماهم الله سبحانه باسم يجمعهم كلهم «الذين أنعم الله عليهم» والنعمة هنا غير مقيدة بقيد مما يفيد انها كل النعم واعظم النعم وهي نعمة الولاية الإلهية وهم نفسهم أصحاب الصراط المستقيم الذي نطلب من الله سبحانه هدايتنا إليه في اليوم عشر مرات وذلك عندما نقرأ في جيمع صلواتنا ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[2]

وإذا علمنا أن الرسول الأكرم ﷺ هو من النبيين بل خاتمهم وأشرفهم ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام من الصديقين بل هو الصديق الاكبر ويأتي الائمة من الشهداء والصالحين بل هم سادتهم وقادتهم، إذا علمنا ذلك يكون طلبنا في كل صلواتنا ان يهدينا الله سبحانه الى صراط محمد وآل محمد ﷺ ونعرف ايضاً أننا بطاعتنا الله سبحانه ولرسوله ﷺ نحصل على رفقة آل محمد عليهم السلام.

(١) سورة النساء/ آية ٦٩.
(٢) سورة الفاتحة/ آية ٦-٧.

والنقطة المهمة في المسألة أن طاعة الله ورسوله تترشح منهما طاعة آل محمد ﷺ لأن المسلم عندما يريد أن يطيع أوامر ونواهي الله ورسوله سيجد بين تلك الأوامر إطاعة آل محمد ﷺ.

رزقنا الله وإياكم طاعة الله ورسوله وآل رسوله ﷺ

ورزقنا مرافقتهم في الدنيا والآخرة.

الفهرس

المقدمة ٣
توطئة ٥
شُكر وانقلاب ٨
الطاعة والتولي عنه ١٨
الاتّباع والتقدّم ٢٨
نتائج ٣٩

تعزي

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

صاحب العصر والزمان الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام

والمراجع العظام والعالم الإسلامي كافة

بذكرى رحيل منقذ البشرية من الشرك والضلالة

النبي الأكرم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

الشؤون الفكرية والثقافية

راسلونا fikriya@aljawadain.org

زورونا www.aljawadain.org